المحور الثاني : مأْسَسَة الحياة الاجتماعية والمؤسسات الاجتماعية من منظور علم الاجتماع

أولا: مقاربة علم الاجتماع العام (من خلال نماذج مختارة من المنظرين)

المحاضرة الأولى: أبرز ملامح المأْسَسَة الاجتماعية والمؤسسات الاجتماعية لدى كل من إميل دوركايم ومارسيل موس

إميل دوركايم: عالم اجتماع فرنسي؛ عاش بين 1858م– 1917م؛ يعتبر مؤسس علم الاجتماع، ومؤسس المدرسة الفرنسية في علم الاجتماع التي كان لها تأثير كبير – استمر لفترة طويلة –على الكثير من الأسس والمبادئ في علم الاجتماع عبر العالم، وتوجيهه نظريا ومنهجيا نحو الاهتمام بالكثير من القضايا

مارسيل موس: عالم اجتماع وانثروبولوجيا فرنسي، عاش بين (1872م–1950م) يعرف أيضا بأبي الانثرويولوجيا الفرنسية، عاصر دوركايم وكان قريبا له في النسب(إبن أخته)، وشريكه في العمل والفكر، واصل بعد وفاة دوركايم العمل على تطوير أفكار دوركايم، والتأسيس للمدرسة الفرنسية في الانثروبولوجيا التي كونت الكثير من الانثروبولوجيين الفرنسيين الذين اشتهروا فيما بعد، ...

01 * موقع المؤسسة الاجتماعية ضمن اهتمامات علم الاجتماع عند دوركايم وموس: لقد جعل كل من دوركايم وموس **من المؤسسات الاجتماعية موضوعا رئيسيا لعلم الاجتماع**، حيث ناقش دوركايم **نشأتها ونشاطها باعتبارها تحدد طرق وقواعد التصرف والتفكير التي تسبق وجود الأفراد وتفرض عليهم الخضوع لها**[1]. بينما لا يهتم علم الاجتماع بالأفراد الذين يعيشون ضمن هذه **الكيانات الاجتماعية إلا بكونهم جزء تابع للنظام الاجتماعي بمؤسساته المختلفة**، حيث تعيش المؤسسات من خلال هؤلاء الأفراد. ويتبين من خلال ماكتبه دوركايم عن الظاهرة الاجتماعية كموضوع لعلم الاجتماع الذي يميزه عن موضوع علم النفس؛ أنهُ كان حريصا على استبعاد الظواهر التي لا تتسم بالإلزام والعمومية من دائرة اهتمام علم الاجتماع. كما أن دراساته السوسيولوجية ركزت على أهمية الدراسة الموضوعية، لتكوُّنَات البنيات المؤسسية الاجتماعية، وخصائصها، وطرق تحكمها في الأفراد؛ دراسة تنظر إليها مع مجمل الظواهر الاجتماعية باعتبارها أشياء. كما

---

[1] – أنظر مثلا: Turner, Bryan,S. مرجع سابق. مادة: "INSTITUTIONS"، وأيضا: ريمون بودون وف. بوريكو. المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط01، 1406هـ ، 1986م، مادة مؤسسات. حيث تتم الإشارة إلى أن كل ما هو اجتماعي هو مؤسس، وفق التقليد الذي ينبثق من وجهة نظر دوركايم، وهو التقليد الذي يعتبر المؤسسات الاجتماعية: أساليب للعمل والإحساس والتفكير، "متبلورة" وإلى حد ما ثابتة، مُلزمة ومميزة لمجموعة اجتماعية معينة. (بودون وبوريكو. ص. 479)

وأنظر:

Anthony Glinoer. « Institution » dans : Anthony Glinoer ,et Denis Saint- Arnaud(dir). Le lexique socius. URL : http://ressources-socius-info/index.php/lexique/21-lexique/45- institution. page consultée le 24/02/2018.

وأيضا: فيليب كابان وجون فرانسو دورتيه (محرران). علم الاجتماع من النظريات الكبرى الى شؤون الحياة اليومية اعلام وتواريخ وتيارات، ترجمة إياس حسن، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق– سوريا، ط01 ، 2010، ص.55.

يتبين من دراسات ماوس المستقاة من دراسات انثروبولوجية للتبادلات الاجتماعية، **أن المؤسسة تتجسد في مجموعة الأفعال والأفكار التي يجدها الأفراد أمامهم[1] •، بحيث تحدد لهم طرق التصرف والتفكير**، وبذلك فهي تعبير عن الظواهر الاجتماعية التي تضم جميع طرق الفعل والتفكير التي يجدها الإنسان منسجمة، والتي يتم فيها التبادل عادة عن طريق الثقافة ؛ لكن ماوس ركز أكثر على كيفيات تشكل وتبلور مضمون المؤسسات الاجتماعية وآليات عملها ومكانتها ودورها في النظام الاجتماعي، من خلال التركيز على تفهم حقيقة الظاهرة الاجتماعية **من واقع الاستخدام الاجتماعي اليومي المتغير لها**، وليس من خلال **افتراض وجود ثابت لها**، ومن خلال وظائفها التي تدل على مضمونها الأساسي وليس شكلها المتحول، حيث تظهر المؤسسات الاجتماعية من خلال كونها تؤدي وظائف أساسية في الحياة الاجتماعية، **أكثر من كونها بناءات ثابتة** تتشكل **وتأخذ مظاهر معينة راسخة** مثلما فعل دوركايم.

02 * **وفي إطار دراسته للبناء الاجتماعي مَيّزَ دوركايم بين بنية مؤسسية تقليدية وبنية مؤسسية حديثة؛ تتميز البنية المؤسسية التقليدية** بـ: البساطة، والتجانس النسبي، والتضامن الآلي الذي يجعلها بنية شديدة التماسك، قدر ضئيل من تقسيم العمل (في الغالب يستند إلى معيار النوع" ذكر-أنثى")، حيث أن البناء المؤسسي الاجتماعي هنا يجعل الأفراد يشغلون مراكز يتحملون فيها عدة مسؤوليات، ويقومون بمجموعة متنوعة من الأعمال، وتحتل المؤسسة الأسرية والمؤسسات الأولية المرتبطة بها، والمؤسسة الدينية في هذه البنية المؤسسية مكانة بارزة.

في حين تتميز **البنية المؤسسية الحديثة** بـ : اللاتجانس والتضامن العضوي وقدر أكبر من تقسيم العمل حيث يشغل الأفراد مراكز أكثر تخصصا داخل نطاق ضيق من الأعمال والمسؤوليات، وهناك أيضا يسود التباين وقلة التماسك الاجتماعي، والمعايير والقواعد القانونية التقويمية التي تقع مسؤولية تنفيذها على مؤسسات متخصصة.

03 * **خلل البنية المؤسسية الحديثة لدى دور كايم**: يرى دوركايم أن البنية المؤسسية للمجتمع الحديث تعاني من اللامعيارية التي تتجسد في ضعف الأخلاق العامة وفقدان سلطتها على الأفراد، لذلك تسود الفردانية وتفقد معايير الصواب والخطأ الاجتماعية وضوحها لدى الأفراد، وأحد العوامل المسببة لذلك هو تقسيم العمل الذي ينتج عن آلياته التي تشجع التخصص الدقيق **استغراق كل فرد في وظيفته؛ وفقدانه الشعور بالهدف** الذي يجمعه مع باقي الأفراد في المجتمع.

04 * **مضمون المؤسسة الاجتماعية ومظهرها عند موس**: يظهر من خلال توصيف ماوس للمؤسسة الاجتماعية أن :[2]

أ * **المؤسسة تظهر من خلال سلوكيات وطرق التفكير** (وليس عن طريق إعداد علاقات الإنتاج وتهيئتها).

ب * **هذه السلوكيات وطرق التفكير لا تنبع من الشخصية الفردية، بل من المجموعة وبعيدا عن الفردية**.

---

[1] – أنظر: Anthony Glinoer، مرجع سابق.

• – (أمامهم) هنا بالمعنى الزمني، حيث فيها إشارة إلى أن أي تصرف أو تفكير فردي يجد نموذجه في قاعدة اجتماعية متشلكة قبل أن يفكر الفرد، وقبل أن يقرر التصرف. بل إن تفكير الفرد يحدده نموذج تفكير تم تحديده على المستوى الاجتماعي.

[2] – لاباساد، جورج وربنيه لورو. مفاتيح علم الاجتماع، ترجمة: فاروق الحميد، دار الفرقد، دمشق- سوريا، ط01، 2011، ص. 147

ج * تشكل السلوكيات وشكل التفكير إرثا من الماضي؛ وحكومة من الموتى تحكم الأحياء.

د * هذا الإرث، إن لم يكن هو الهدف، فهو على الأقل أحد نتائج الثقافة.

ما يمكن الإشارة إليه بخصوص ذلك هو أن **أنماط السلوك والتفكير التي يتبعها الأفراد كمضمون لحياتهم الاجتماعية**، هي المظهر الذي **تتجسد فيه المؤسسات الاجتماعية**، كما تتحدد **وظيفة المؤسسات الاجتماعية في تنميط وتشكيل** ذلك السلوك **والتحكم في قوالبه**، وهي بذلك تمتد في الماضي الذي انقضى زمنه؛ لكنه مازال يتحكم في الأفراد، **حيث توجد الاشكال والانماط قبل الافراد** –كما سبقت الاشارة– ودراسة علم الاجتماع ليس القصد منها استكشاف تحكم القوالب المؤسسية الماضية في تفكير وسلوك الأفراد حاليا؛ "مثلما سبق في ج" ، وليس باعتباره تراثا اجتماعيا متجذرا في التاريخ وحسب، بل باعتباره **أحد الوقائع التي ساهمت في تشكيل وتحديد مضمون ثقافة المجتمع الحالية** " قيم وعادات ومعايير "؛ وما له من وظيفة يؤديها فيها.

05 * أهم ميزات المؤسسة الاجتماعية عند ماوس: توصل موس من خلال تحليله لأشكال التبادل (الهبات والهدايا) وبعض الطقوس الدينية "كالأضحية والصلاة" لدى مجتمعات بدائية، إلى أن تلك الأشكال المختلفة للتبادل والشعائر والطقوس لا تربط الأشخاص كأشخاص؛ بل هي **من خلال ممارسة الأفراد لها، تجسد فكرة الإجتماعي** (شعيرة الصلاة أو تقديم الأضحية سلوك يبدوا فرديا لكنه في مضمونه **تعبير عن تجسيد لما تم تأسيسه إجتماعيا** "فكرة وشكل وهيئة وهدف وقيمة ووقت الصلاة او تقديم الاضحية"، **وتشكيلٌ له كرابط بالمجتمع** "العلاقات والإطار الذي يحدث ضمنه والمعنى الذي يكتسبه فعل الصلاة أو تقديم الاضحية")، كما **أن علاقات التبادل التي قد تبدوا في مظهرها فردية، هي في مضمونها تربط بين المؤسسات الاجتماعية** (العشائر والقبائل والأسر التي تتقابل من خلال علاقات التهادي سواء بصفتها الجمعية في ميدان واحد؛ أو بواسطة رؤسائها أو بالصفتين معا)[1]. ومن مجمل ما تناولته أعمال موس، يمكن الإشارة إلى بعض أهم مما تتميز به المؤسسات الاجتماعية من وجهة نظر ماوس؛ في:

أ * **رغم أن المؤسسات الاجتماعية** تشير إلى ما هو ثابت في المجتمع، **فهي متغيرة تاريخيا وباستمرار**، حيث يتعرض النموذج الموجود إلى تعديلات مستمرة، رغم بقاء الصيغة والقواعد(المضمون) التي تعبر عن الصيغة نفسها[2].

ب * **للمؤسسات الاجتماعية اعتمادية متبادلة على بعضها البعض**، وعلى بيئتها واعتمادها على قانون يعطيها صفة **القوى غير الشخصية التي تقود الأفراد وتهيمن عليهم**، حيث تشكل المؤسسات الاجتماعية مع بعضها نظاما، يتغلغل داخل الأفراد عن طريق التعليم.

[1] – ريتور، فيليب. الدروس الأولى في علم الاجتماع. ترجمة: محمد جديدي، دار الأمان، الرباط– المغرب، والاختلاف، الجزائر، وضفاف، بيروت– لبنان، ط01، 1436هـ – 2015م. ص– ص. 74–75

[2]- Salvador, Juan. Le combat de l'Organization et de l'Institution, **Sociologies**, URL : http://sociologies.revues.org/582 - page consultée le 23/11/2017

ج * **المؤسسات هي التي تعطي للجماعة صفة المجتمع**، حيث في المجموعات **التي لا وجود للمؤسسات بها**، لا وجود للمجتمع بها أيضا؛ إنما ما يوجد لديها هو جماعات عابرة(حشود) وغير مستقرة، أو مازالت لم تتشكل بعد.

06 * **رؤية دوركايم حول ضرورة العمل على خلق بنية مؤسسية جديدة لمواجهة أخطار الفردانية واللاّمعيارية** في المجتمع الحديث، لم ير دوركايم أن اللامعيارية تمثل حالة سوية ووظيفية في البناء المؤسسي الحديث؛ **بل اعتبرها مرضا اجتماعيا يجب مواجهته عن طريق إنشاء قواعد اجتماعية مؤسسية** تعيد التماسك والالتزام بأخلاق عامة مشتركة، وذلك عبر:

أ * **إنشاء اتحادات وروابط مهنية جديدة:** تختلف عن تلك الموجودة في المجتمع (نقابات العمال واتحادات أصحاب العمل)، والتي لم تستطع حل المشكل بقدر ما عملت على توسيعه، لذلك فالروابط المؤسسية والاتحادات الجديدة التي سيتم إنشاؤها يجب أن **يتم التركيز على جعلها أداة لدمج الأفراد في المعايير الاجتماعية استنادا إلى نظام أخلاقي يعزز التكامل الاجتماعي، بين الأفراد ضمن المجال المهني الواحد؛ وضمن المجالات المهنية المتعددة**؛ وبينهم **كأعضاء في تلك الروابط والاتحادات، وبين البناء الاجتماعي ككل بمؤسساته** المختلفة؛ بحيث يكون الهدف هو **أن لا يشعر الأفراد في العمل بأنهم مهددون في مصالحهم؛ ومعزولون في مواجهة مصائرهم الخاصة**، كما يجب أن **تتكفل تلك الاتحادات والروابط** من جانب آخر بالعمل **على الحد من الآلية التي تهمل مشاعر وحاجات الأفراد للتضامن** والتكافل معهم في العمل **ولا تراعي العلاقات الإنسانية**، وبذلك **يُتَوَقَّع من تلك الروابط الجديدة** أن توقف انهيار القواعد الأخلاقية المتعلقة بذلك المجال.

ب * **التركيز على تفعيل دور مؤسسات التربية والتنشئة الاجتماعية في** دمج الأفراد في **مهمة الحفاظ على التضامن الاجتماعي، من خلال التركيز على التنشئة الأخلاقية**، التي تهتم بتحقيق **هدف إدماج الفردانية (ما يشبه عبادة الفرد)**، أو **القيم التي تُعلي من شأن الفرد ضمن نظام الأخلاق الاجتماعية التي تهتم مؤسسات التربية؛ والتنشئة الاجتماعية بتعليمها للأفراد**،(تصبح الفردانية من خلال "أهمية حماية حقوق الفرد في التفرد والتميز، وحقوقه في الدفاع عن حقه" قيمة أخلاقية اجتماعية تسهر مؤسسات التربية والتنشئة الاجتماعية على تعليمها، وعلى ابراز دور المجتمع في حمايتها)، باعتبار ذلك هو الطريقة المناسبة لإعادة **دمج الفرد** في النسق الأخلاقي الاجتماعي الصناعي الحديث و" إشعاره بأن **مصالحه محمية** ضمن مصالح المجتمع"؛ وفي نفس الوقت جعل هذا النسق يستوعب مصالح، وأهداف الأفراد في **التَمَيُّز** وممارسة **فردانيتهم**.[1] والاطمئنان إلى أن **المجتمع بمؤسساته المختلفة يرعى حقوقهم؛ ومصالحهم**، ويدعم **شعورهم بأنهم ليسوا منعزلين ومنفردين** في العمل على تحقيق ذلك. مادامت الأخلاق الاجتماعية تُحمل المؤسسات الاجتماعية مسؤولية رعاية مصالحهم.

[1] – في التعرف على معالم فكر دوركايم عموما وحول تشخيص خصائص بنية المجتمع الحديث وخصائصه واختلالاته، والفرق بينه وبين المجتمع التقليدي... سواء في الجوانب المشار إليها هنا أو في جوانب أخرى يمكن الرجوع مثلا إلى: ريتزر، جورج. رواد علم الاجتماع، ترجمة الجوهري وآخرون، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط01، 2006.